مَرْكَزُ الْفُهُومِ وَالْمَعَانِي

رِسَالَةٌ فِي عَدَدِ جَوْهَرَةِ الْكَمَالِ فِي الْوَظِيفَةِ

الشيخ السيد الحاج مالك سي

رسائل · 18 paragraphs

1 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

2 اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّبْرِ وَالْمُصَابَرَةِ حَيْثُ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 200]، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي حَثَّنَا عَلَى تَرْكِ الْمُدَابَرَةِ وَالْمُقَاطَعَةِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَيَّدُوا أَرْكَانَ هَذَا الدِّينِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

3 فَمِنْ أَضْعَفِ الضُّعَفَاءِ، وَأَفْقَرِ الْفُقَرَاءِ اَلْحَاجِّ مَالِكٍ، وَقَاهُ اللَّهُ الْمَهَالِكَ، إِلَى الْأَخِ الْحَبِيبِ الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ، وَقَانَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَانَا وَمَثْوَاهُ، مَيْسَ غَيْ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ شَرَّ الْغَيِّ وَالْعَيِّ، أَتَمُّ السَّلَامِ، وَأَعَمُّ الْإِكْرَامِ، يَلِيهِ إِعْلَامُكَ - لَا زَالَ مَحْصُولًا مِنَ الْخَيْرِ مَرَامُكَ - أَنَّ إِخْوَانَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ جَوْهَرَةِ الْكَمَالِ، سَامَحَهُمْ ذُو الْإِكْرَامِ وَالْجَلَالِ، الَّذِينَ مِنْ نَاحِيَتِكُمْ، اَلسَّاكِنِينَ مَعَكُمْ، أَرْسَلُوا إِلَيَّ بَرَاوَةً، وَوَقَعُوا فِيهَا عَلَى جَنَابِي بِكَلَامٍ غَيْرِ لَائِقٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِأَنِّي أَقُولُ فِيمَا أَقُولُ صَادِقٌ، لَوْ أَرْسَلُوا إِلَيَّ أَلْفَ بَرَاوَةٍ، مَا أُجَاوِبُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَمَنَعَنِي عَنْ مُجَاوَبَتِهِمْ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: 199] اَلْآيَةُ، وَفِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ: إِنَّ الْآيَةَ خِطَابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعُمُّ جَمِيعَ أُمَّتِهِ، لَا يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ صَغِيرَةٌ، وَهِيَ أَمْرٌ بِجَمِيعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَوَصَّى النَّبِيُّ ﷺ جَابِرَ بْنَ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: «اِتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ فَضْلِ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَإِنِ امْرُؤٌ سَبَّكَ بِمَا لَا يَعْلَمُ مِنْكَ فَلَا تَسُبَّهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ أَجْرًا، وَعَلَيْهِ وِزْرًا، وَلَا تَسُبَّنَّ شَيْئًا مِمَّا خَوَّلَكَ اللَّهُ بِهِ».

4 وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ...**﴾ [الأنفال: 25]، وَفِي رُوحِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ تِلْكَ الْآيَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «اَلْفِتْنَةُ رَاتِعَةٌ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَاضِعَةٌ خِطَامَهَا فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَهَاجَهَا»، وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: «اَلْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا».

5 وَقَدْ أَعْرَضَ نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ مُؤَاخَذَةِ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، تَأَسِّيًا بِمُوسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

6 أَنَا فِي وَادٍ، وَهُمْ فِي وَادٍ؛ لِأَنِّي مَا ادَّعَيْتُ شَيْئًا لِنَفْسِي - اَلْحَمْدُ لِلَّهِ - وَمَا قَصَدْتُ بِبَرَاوَتِي الَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَى نَاحِيَتِكُمْ مُنَاسَبَةَ أَحَدٍ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ، وَمُرَادِي تَبْيِينُ الْحَقِّ، وَإِظْهَارُهُ لِلْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ كَانُوا هُنَالِكَ، حَتَّى لَا يَغْتَرُّوا بِوَارِدٍ يَصْرِفُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ الَّذِي تَرَكَهُمْ عَلَيْهِ إِمَامُنَا وَسَيِّدُنَا حَوَارِيُّ الطَّرِيقِ الْأَحْمَدِيِّ التِّجَّانِيِّ، شَيْخُنَا اَلْحَاجُّ عُمَرُ الَّذِي اشْتَهَرَتْ وِلَايَتُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَلَا يُنْكِرُ فَضْلَهُ غَيْرُ مُعَانِدٍ حَاسِدٍ.

7 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اَلدِّينُ النَّصِيحَةُ، اَلدِّينُ النَّصِيحَةُ، اَلدِّينُ النَّصِيحَةُ». اِنْتَهَى مِنْ رُوحِ الْبَيَانِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿**إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ...**﴾ [التوبة: 91]، اَلْآيَةُ.

8 وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا مَرْفُوعًا: «إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَنْصَحُهُمْ لِعِبَادِهِ»، وَكَانَ أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ ﷺ أَعَمَّهُمْ نَصِيحَةً، اِنْتَهَى مِنْ تَاجِ التَّفَاسِيرِ.

9 وَقَالُوا فِي بَرَاوَتِهِمْ مَا مَعْنَاهُ: "مَنْ خَالَفَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ جَوْهَرَةِ الْكَمَالِ فَقَدْ خَالَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَيِّدَنَا وَوَسِيلَتَنَا إِلَى رَبِّنَا أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ التِّجَّانِيَّ"، وَذَلِكَ دَعْوَى لَا بَيِّنَةَ لَهَا، وَكُلُّ مَنْ لَهُ أَدْنَى إِلْمَامٍ مِنْ عِلْمِ الطَّرِيقَةِ عَلِمَ أَنَّ الْأَصْلَ إِحْدَى عَشْرَةَ، لَكِنْ ذَلِكَ ثَبَتَ بِشُهُودٍ ثِقَاتٍ لَا يُكَذِّبُهُمْ إِلَّا مَنْ عَانَدَ الْحَقَّ، إِنَّ ذَلِكَ الْأَصْلَ كَانَ مَنْسُوخًا وَمُنْتَقَلًا عَنْهُ فِي حَيَاةِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَمْ يَعْمَلِ الشَّيْخُ بِذَلِكَ الْأَصْلِ بَعْدَ نَسْخِهِ، إِلَى أَنِ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ الْكَرِيمَةُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، وَتَمَسَّكَ بِالنَّسْخِ بَعْدَهُ أَوْلَادُهُ وَأَوْلَادُ أَوْلَادِهِ حَتَّى الْآنَ، وَخُلَفَاؤُهُ وَزَوَايَاهُ كَذَلِكَ. وَفِي الدُّرَّةِ الْخَرِيدَةِ لِسَيِّدِنَا النَّظِيفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ قَوْلِهِ:

10 وَلَا بُدَّ مِنْ طَهَارَةِ الْمَاءِ فِي الَّتِي ✦ بِجَوْهَرَةِ الْكَمَالِ تُدْعَى بِحَضْرَةِ

11 تَنْبِيهٌ: سُئِلَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ - عَمَّنْ كَانَ فِي أَثْنَاءِ الْجَوْهَرَةِ ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَعَمَّنْ غَلَبَهُ الْحَدَثُ فِي الْأَخِيرَةِ مِنْ جَوْهَرَةِ الْكَمَالِ هَلْ تَصِحُّ وَظِيفَتُهُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، أَمْ لَا؟ فَأَجَابَهُ: بِأَنَّهُ يُعِيدُ وَظِيفَتَهُ لِبُطْلَانِهَا بِانْتِقَاضِ وُضُوئِهِ، وَلَا وَظِيفَةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، أَوْ بَدَلَهُ بِشَرْطِهِ، وَلَا عِبْرَةَ بِالْأَصْلِ؛ لِأَنَّهُ صَارَ مَنْسِيًّا وَمَنْسُوخًا، وَفِي مُنْيَةِ الْمُرِيدِ:

12 وَفِي حَيَاةِ شَيْخِنَا قَدْ زَادُوا ✦ وَاحِدَةً فَزِيدُهَا سَدَادُ

13 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...**﴾ [المائدة: 3] اَلْآيَةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، اِنْتَهَى.

14 وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ زِيَادَةَ الْوَاحِدَةِ صَادِرَةٌ عَنْ غَيْرٍ، قُلْنَا: لَا عِبْرَةَ بَعْدَ قَبُولِهِ وَعَمَلِهِ بِالزِّيَادَةِ، فِيمَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ، وَلَا يُقْبَلُ شَرْعًا وَلَا عَقْلًا وَلَا عَادَةً عَمَلٌ بِمَنْسُوخٍ بَعْدَ مَوْتِ نَاسِخِهِ، وَالنَّسْخُ إِنْ جَازَ فِي الْقُرْآنِ فَفِي غَيْرِهِ أَحْرَى.

15 وَمَنِ ادَّعَى الْيَوْمَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَالشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَرَهُ بِذَلِكَ الْأَصْلِ، فَلَا نُنْكِرُ فَضْلَهُ، وَلَكِنْ نَقُولُ لَهُ: لَا يُمْكِنُ تَرْجِيحُ شَاهِدٍ وَاحِدٍ، وَلَوْ كَانَ أَعْدَلَ الْعُدُولِ عَلَى أُلُوفِ عُدُولٍ، فَإِنْ أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ عِرْضِي بِسَبَبِ تَبْيِينِ الْحَقِّ فَلَا بَأْسَ؛ لِأَنِّي - وَلَوْ كُنْتُ أَحْقَرَ النَّاسِ - عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ، فَلَا أُبَالِي بَعْدَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر: 36] بِهَجْوِ هَاجٍ، وَلَا مَدْحِ مَادِحٍ، وَإِنِّي مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِي أَعْرَاضَهُمْ، وَمَا طَلَبْتُ بِبَرَاوَتِي أَنْ يَخْرُجُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مُدَّعِيًا خَرَجَ عَنْ دَعْوَاهُ، وَلَوْ قَامَ عَلَيْهِ السَّيْفُ، حَتَّى أَطْلُبَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ طَلَبَ مَا لَا يُوجَدُ عَبَثٌ، عَلَى أَنِّي لَاقَيْتُ أَصْلَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَعَرَفْتُهُ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ، وَكَانَ حَبِيبًا لِي، وَفِي آخِرِ الْمُلَاقَاةِ تَكَلَّمْنَا فِي شَأْنِ الْجَوْهَرَةِ، فَقُلْتُ: أَلَمْ تَكُنِ الزِّيَادَةُ فِي حَيَاةِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَ لِي: نَعَمْ، قُلْتُ لَهُ: ذَلِكَ كَافٍ مِنَ الدَّلِيلِ.

16 وَقَصْدِي: مَا قُلْتُ أَوَّلًا فِي التَّنْبِيهِ، وَعَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِوَارِدٍ أَيًّا كَانَ، كُلُّ مَنْ أَتَاكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَكْرِمُوهُ بِقَدْرِ طَاقَتِكُمْ، وَلَا تَتَغَيَّرُوا، وَاجْتَنِبُوا الدَّعَاوَى مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَالشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ شَدِيدَ النَّهْيِ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا كَثِيرًا مَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَثِيرًا مَا تَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَى مُعَادَاةِ النَّاصِحِينَ.

17 وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُجَاوِبَ أَحَدًا يَنْسِبُ إِلَيْنَا مَا لَا يَلِيقُ، وَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مُصَابَرَةُ مَنْ يَعِيبُونَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ نَاصَحَ النَّاسَ الْيَوْمَ يَكُونُ هَدَفًا، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

18 وَبَلِّغْ سَلَامِي إِلَى الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، وَإِلَى جَمِيعِ عِيَالِهِ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا جَاءَتْكَ الْبَرَاوَةُ فَانْقُلْهَا لِحَبِيبِنَا وَصَفِيِّنَا الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، وَإِلَى كُلِّ مَنْ أَحَبَّ نَقْلَهَا فَلَهُ إِذْنٌ فِي ذَلِكَ، وَالسَّلَامُ.